مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ٨ آب سنة ١٩٢٢ م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

حاضر الاندلس وغابرها

(١٠) تفنن عرب الاندلس

لم تقف همة الاندلسيين عند حد الابداع في هندسة الدور والمصانع وعمل النقش والتزويق وتنجيد البناء والزخرف فيه وبناء الجسور وتعبيد الطرق وانشاء السكور والسدود . فان هذه الاعمال في العمران كانت نتائج لازمة للثروة العظيمة التي فاضت عليهم من زراعاتهم وصناعاتهم ومتاجرهم . فقد تفننوا انواع التفنن في الزراعة ونقلوا الى الاندلس من الشام انواعاً من الاشجار والازهار والغراس والبقول لم يكن لاسبانيا عهد بها ومنها انتقلت الى اوربا الغربية . ومن جملة ما ادخلوه من انواع الشجر والنبات الفستق والموز والنخيل والارز والقطن والتوت وقصب السكر والزعفران والهليون وزهر الكاملیا الحمراء والبيضاء والورد الياباني وغير ذلك وتفننوا في هذا تفنن الغربيين لعهدنا بزروعهم وورودهم وثمارهم وبقولهم حتى كانت الاندلس المعتدلة الاقاليم الحسنة المناخ تعطي ثلاثة مواسم في السنة لحسن استثمارها فتدر على اهلها اخلاف الرزق والغنى سواءٌ في العناية عندهم الاعذاء اي الاراضي التي تسقى بالامطار او التي تسقى سيحاً اي بماء الانهار ذلك لانهم حفروا آباراً واسالوا المياه من القاصية وعمروا خزانات وسدوداً. وكان لهم بصر بالصنائع حملوا معهم من الشام ايضاً صناعة صقل السيوف وهي الصناعة التي نسبت الى دمشق حتى اليوم فقيل لها بالافرنجية Damasquinage او Damasquinerie أو Damasquinure اي تنزيل الذهب والفضة في الفولاذ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد اشتق منه الفعل عندهم Damasquiner كما نقلوا صنعة الاقمشة من الحرير والكتان مزينة بالرسوم من دمشق ايضاً فنسبت اليها عندهم وقالوا في فعلها Damasser اي عمل ثياباً على النمط الدمشقي .

واختصت قرطبة بدبغ الاديم اي الجلود واشبيلية بالحرير (كان فيها سنة ١٥١٥ ستة عشر الف نول يعمل فيها ١٣٠ الفاً من العملة فاصبح عددها سنة ١٦٧٣ اربعمائة نول فقط وذلك بعد جلاء العرب والاسرائيلين) وكان بمالقة يعمل الزجاج كما « يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصى البلاد » والى اليوم ينسبون هذا الصنف الى مالقة فيقولون في بلاد الشام المالقي للصحاف والاواني المعروفة . واشتهرت المرية بعمل الوشي والديباج والجوخ (كان فيها ٦٠٠٠ نول للاجواخ) و « لكورة باجة خاصية في دباغة الاديم وصناعة الكتان » وكان في المرية « لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر الف نول وللأسقلاطون [١] كذلك وللثياب الجر جانية كذلك وللاصفهانية مثل ذلك وللعنابي والمعاجر [٢] المدهشة والستور المكللة ويصنع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج مالا يوصف »

وكان الديباج والوشي يعمل اولاً في قرطبة ثم غلبت عليها المرية فلم يتفق في الاندلس من يجيد عمل الديباج اجادة اهل المرية . وانفردت سرقسطة بصنعة السمور ولطف تدبيره وهي الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية خصوصية لاهل هذا الصقع « وفي جميع نواحيها يعمل الكتان والحرير الفائق » وكان في جيان ٦٠٠ نول للحرير ويعمل السجاد في رية والسلاح والحلي في قرطبة ومرسية وطليطلة وسرقسطة واخذت شاطبة تصدر الورق بكثرة منذ سنة ١٠٠٩ قال ياقوت وفي شاطبة يعمل الكاغد الجيد ويحمل منها الى سائر بلاد الاندلس وبالجملة فلأهل هذه الديار « خصائص كثيرة ومحاسن لاتحصى واتقان لجميع مايصنعون » قال ميجون : كانت في الاندلس عدة معامل مشهورة لصنع الفسيفساء ويسمونه المفصص ونقلت صناعة الفسيفساء عن الرومان

• • •

(١) بلد بالروم تنسب اليه الثياب السقلاطونية وقد تسمى الثياب بنفسها سقلاطوناً قال في التاج هي كلمة رومية (٢) المعجر ثوب يمني يلتحف به ويرتدى والجمع المعاجر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهكذا رسخت الصنائع في امصار الاندلس برسوخ الحضارة وطول امدها قال ابن خلدون. فانا نجد في الاندلس رسوم الصنائع قائمة واحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد امصارها كالمباني والطبخ واصناف الغناء واللهو من الآلات والاوتار والرقص وتنضيد الفرش في القصور وحسن الترتيب والاوضاع في البناء وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجمع المواعين واقامة الولائم والاعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها الترف وعوائده فنجدهم اقوم عليها وابصر بها ونجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الامصار . »

وذكر سيد يليو ان العرب من حيث الاخلاق والعلم والصناعة كانوا ارقى بكثير من الاسبان وهم امتن اخلاقاً وطبائع وفيهم الكرم والاخلاص والاحسان الذي لم يكن عند عداتهم كما ان فيهم عزة النفس التي امتازوا بها في كل زمن وكان الافراط المضر فيها داعياً إلى احداث البراز . وساعد على عظمة العرب في اسبانيا انتشار الآداب والعلوم والفنون على عهدهم انتشاراً كثيراً وكذلك الزراعة والصناعة وعم الذوق في اللذائذ العقلية جميع طبقات المجتمع . والشعر يرقي النفوس . وغدت المنافسة الشريفة على اتمها في الافكار . وكانوا يكتبون على جميع المصانع اسم من امر ببنائها واسم بانيها والامة تمدح المحسن بها والمحسن لبنائها وارتقت عندهم الهندسة والموسيقى والرقص إلى درجة ذات بال ولايزال إلى اليوم في الغرب يدرس اسلوب بنائهم ويعجب بما نقشوه فيها من النقوش وكان لدولة الموحدين في الاندلس ذوق خاص في البناء انشأوا الجوامع والمآذن والاماكن العامة والمستشفيات والرباطات في كل بلد من بلادهم واقاموا الطرق والجسور والسدود وحفروا الآبار واجروا الانهار اه .

ولقد كانوا يستخرجون من مناجمهم الزئبق والتوتياء والحديد والرصاص والفضة والذهب ويستقطرون السكر ويعملون اللبود « المشهورة في جميع الارض بالجودة والصبغ الحسن . ولهم من الالوان والاصباغ والحشائش التي يلون بها الحرير وانواع الصوف والثياب ماليس في بلد من بلدان الارض له نظير حسناً وكثرة . » ويحملون حاصلاتهم ومصنوعاتهم إلى اقطار المملكة العربية بل إلى اقاصي البلاد الشرقية والغربية في البحار على سفن الاندلسيين التجارية وكان لهم منها اساطيل في كل فرضة من فرضهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تقلع على الدوام من موانى الاندلس لتحمل إلى شواطىء افريقية وآسيا واوربا مايروج فيها من سلعهم ومعادنهم وثمارهم وحبوبهم .

قال كاباتون : كانت مدنية العرب في اسبانيا ظاهرة في الامور المادية وذلك بما استعملوه من الوسائط الزراعية لاخصاب الاراضي البائرة في الاندلس من الاساليب العلمية التي اتخذوها لريها وهي اساليب ان لم تكن من اختراع العرب فهم الذين اكملوا نواقصها واحسنوا استخدامها كما انهم اسسوا معامل للحرير والجلود والبلور وغزل الصوف والقطن والكتان والقصب واقاموا ما لايحصى من المعاهد العامة وفيها ما يستدعي إعجاب الامم باسرها حتى بعد ثمانية قرون من انشائه اه .

وقال احد علماء الفرنجة : كان في الاندلس على عهد الحضارة العربية اربعون مليون نسمة من ارباب الصنائع والعمل (سكان اسبانيا اليوم نحو ٢١ مليوناً وسكان البرتغال ٦ ملايين) وعلى ذلك العهد قامت فيها المدن المهمة التي يعجب الناس إلى اليوم بخرائبها وعلى ذاك العهد كانت الزارعة ناجحة وبفضل هندسة العرب كانت المياه تجري إلى كل مكان في بسائطها فتحمل الخصب والإمراع . وقال آخر : ان عهد استيلاء العرب على اسبانيا كان اسعد ايامها لنجاح زراعتها بما قام فيها من اعمال السقيا وبفصل غراسهم وزروعهم وحسن استثمارهم لمعادن الارض ومناجمها ولما اغتنت البلاد كثر فيها سكان الدساكر والقرى كما كثر سكان المدن الكبرى .

* * *

ولاعجب ـ وحال البلاد من ارتقاء الصنائع والزراعة وتعدين المناجم واتساع التجارة قد بلغ هذا الحد ـ ان كانت جباياتها من حقوقها وغير واجبها إلى سنة ٣٤٠هـ نحو عشرين الف الف دينار قال ابن حوقل : ولست اشك على مايوجبه النظر وتواطأ به الخبر فيما جمعه الحكم بعد هلاك ابيه من خدمه والمصادرين الذين كانوا في جملته عن اسباب الاندلس ولوازمها وجباياتها وخراجها واعشارها وصدقاتها وجواليها تمام اربعين الف الف دينار وبلغ خراج الاندلس على عهد عبد الرحمن الثالث عدا ما كانت دولته تستوفيه عيناً ... ٦،٢٤٥ دينار . وحكى ابن خلدون عن الثقات من مؤرخي الاندلس : ان عبد الرحمن الناصر خلف في بيوت امواله خمسة آلاف الف الف الف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقناطير خمسمائة ألف قنطار وكان هذا الملك يقسم الجباية اثلاثاً ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف الف واربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن الستوق(١) والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستين الف دينار واما اخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان. وانتهت جباية قرطبة ايام ابن أبي عامر إلى ثلاثة آلاف الف دينار بالانصاف .

• • •

كان للاندلسيين حذق باستخراج العلوم واستنباطها من ذلك ان عباس بن فرناس حكيم الاندلس صنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود وهو الذي استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة واول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمثقال (؟) ليعرف الاوقات على غير مثال واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومدّ له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ثم سقط. فهو اول من حاول الطيران من بني الانسان .

وكان اهل قرطبة اول من عني بتبليط المدن وكذلك انارة الطرق في الليل عرفت لاول مرة في قرطبة ايضاً ولما ارتقت العلوم على عهد بني الاحمر في غرناطة اكتشفوا بل اخترعوا بارود المدافع وعرف منذ ذاك العهد ولاتزال مدافعهم التي دافعوا بها عن غرناطة محفوظة إلى اليوم في احد متاحف اسبانيا .

وفي الاندلس عرف الطبع فكان احد ابنائها هو السابق في مضمار هذا الاختراع الذي لم تنتفع الانسانية بأفيد منه فكانت لهم فيه طريقة لم ينته الينا خبرها بالتفصيل بل عرف اجمالاً ان عبد الرحمن بن بدر من وزراء الناصر من أهل المئة الرابعة « كان ينفرد بالولايات فتكتب السجلات في داره ثم يبعثها للطبع فتطبع وتخرج إليه فتبعث في العمال وينفذون على يديه » فاذا كان هذا هو الطبع المعروف وما نظنه الا هو فيكون ابن بدر العربي قد سبق غوتنبرغ الالماني مخترع الطباعة بنحو اربعة قرون .

وذكروا ان ملوك غرناطة فرضوا جوائز للمخترعين لينشطوهم ويلقوا المنافسة بينهم وربما ميزوهم بامتيازات خاصة على نحو مافعل لويز الرابع عشر وكولبر في فرنسا وعني

(١) الستوق الزيف البهرج الملبس بالفضة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاندلسيون بتأليف رسائل يفهمها كل انسان تكون معواناً على الانتفاع بالاعمال العامة وهم انشأوا دساتير سهلة التناول يتدارسها الصناع والعملة فتفيدهم فيما هم بسبيله

واخترع الاندلسيون الخطوط المخصوصة بهم كما اخترعوا الموشحات التي استحسنها أهل المشرق وصاروا ينزعون منزعها وكانت طبقاتهم في نظمهم ونثرهم لاتخفى على بصير ولم يكن يخلو بلد من كاتب بليغ وشاعر مفلق بل « كان من مدنهم مثل شلب قل ان ترى من اهلها من لا يقول شعراً ولايعاني الادب ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته مااقترحت عليه وأي معنى طلبته منه » وخص أهل وادي آش بالادب وحب الشعر . وعلل ذلك احد العارفين بقوله إن أهل الاندلس اشعر الناس لما كثر الله تعالى في بلادهم وجعله نصب اعينهم من الاشجار والانهار والطيور والكؤوس لاينازعهم احد في هذا الشأن .

وكانت للاندلسيين عناية بنقد الشعر لا يجوز عليهم ساقطه ونبغ كثيرون منهم في هذا المعنى والفوا فيه التآليف الممتعة . وكانت لهم مدارس لتعليم القرآن والكتابة والحساب وتعلم العلوم على اختلاف ضروبها في الجوامع من غير نكير يعلمون الفلك والجغرافيا واللغة والطب والنحو ومبادىء الطبيعة والكيمياء والمواليد الثلاثة . ذكروا انه كان في قرطبة ثمانون مدرسة عامة ومكانها مليون نسمة وأن الموحدين أنشاوا في الاندلس مدارس عامة ومدارس عليا واغدقوا احسانهم على العلماء يريدون أن يعيدوا إلى الاندلس بهاءها على عهد الامويين وان الحكم انشأ في قرطبة سبعاً وعشرين مدرسة اتخذ لها المؤدبين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن واجرى عليهم المرتبات وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم وفي ذلك يقول ابن شخيص:

وساحة المسجد الاعلى مكللة مكاتب لليتامى من نواحيها
لو مكنت سور القرآن من كلم نادتك ياخير تاليها وواعيها

واحدث رضوان النصري (٧٦٠) المدرسة بغرناطة ولم تكن بها وكانوا كما قال ابن سعيد يقرأون في جميع العلوم في المساجد باجرة فهم يقرأون لأن يعلموا لا لان يأخذوا جارياً فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ذلك أن يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكثيراً ما كان ملوك الاندلس يقترحون على النـــاس حفظ الكتاب الفلاني من كتب الادب والعلم ومن حفظه فله كذا دينار فما هو الا ان يحفظه مئات طمعاً في الجائزة وعم التلذذ بالادب جميع طبقات المجتمع عندهم . وكثـــير من الشعراء كانوا يتجمعون بشعرهم الملوك والامراء يمدحونهم فيصلونهم ويؤونهم زمناً على نحو ما كانت الحال في القرون الوسطى في المتشاعرين المتغنين بالشعر المتكففين به في بلاد الافرنج ويسمونهم بالافرنسية التروبادور والتروڤير (١) Les Troubadours et les Trouvéres

• • •

وكان تعليم البنات شائعاً عندهم وكثير منهن يحفظن بضعـــة دواوين من دواوين العرب وينظمن ويترسلن كالاوربيات اليوم وإذا عرفت ان المدارس كانت مبذولة في المدن والقرى فلا تستغرب بعد ذلك ان قال احد مؤرخي الافرنج ان سكان اسبانيا الاسلامية الا قليلاً كانوا يقرأون ويكتبون على حين كان أهل الطبقة العليا في اوربا المسيحية أميين لايقرأون ماعدا افراداً قلائل من الشمامسة جعلوا الكتابة من شأنهم .

وكان للاندلسيين غرام بتسبيل الكتب على المطالعة ولهم خزائن كتب عامـــة وخاصة وكانت قرطبة أكثر بلاد الاندلس كتباً واهلها اشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعين والرئاسة فلا يكاد يخلو دار من خزانة فيها كتب قيمة وقد انشأ الحكم الثاني عـــدة مكاتب للمطالعين فكان يرسل وكلاءه إلى المشرق يستنسخون الاسفار فما هو الا ان يؤلف المؤلف تصنيفه حتى تستنسخ منه نسخة أو نسخ لتحمل إلى خليفة الاندلس ولا يفوت بلاده شيء من حركة العقول وكانت دار كتبه تحتوي على اربعمائة الف مجلد جاء فهرسها في أربعة واربعين مجلداً ولطالمـــا اجزل ملوك الاندلس الصلات لبعض مؤلفي الشرق والاندلس حتى يذكروا في مقدمتها انهم الفوها برسم خزائنهم ومن المؤلفين من كانوا يرضون بذلك ومنهم من لا يرضون به

(١) التروبادور شعـــراء كانوا يقولون الشعر باللغة الافرنسية القديمة في القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر والتروڤير شعراء بلغة وال من القرن الحـــادي عشر إلى القرن الخامس عشر كانوا يختلفون إلى الملوك والعظماء ينشدون الاشعار ويضربون على الاوتار وربما اقاموا في قصورهم مدة ثم يتنقلون .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يقصدون أن يكون لمن يستفيد منه .

وكان للعلماء والمؤرخين والشعراء والادباء في الاندلس مجامع علمية وادبية أشبه بالمجامع أو الاكاديميات في هذا العصر وذلك لنشر العلم والمعارف ومفاوضة الحكمة بينهم فنتج من اجتماعهم فوائد مهمة للعلم والمدنية . وكان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس من أعلم الملوك بالادب وله التصنيف المترجم بالتذكرة والمشتهر بالكتاب المظفري في خمسين مجلداً في الفنون والعلوم واستأدب لبنيه أبا عبد الله بن يونس وكان يحضره وأبا لحزم بن عليم وأمثالهما للمذاكرة والمباحثة فيفيد ويستفيد وكان لابي عامر أمير الاندلس في دولة هشام المؤيد مجلس معروف في الاسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيها بحضرته .

وقد أنشأ الحكم مجمعاً في قصر مروان وقلده غيره من أمراء الاندلس فانشأوا مجامع لهم . وأنشأ أحمد بن سعيد النصري مجمعاً في طليطلة فكان يجتمع عنده أربعون عالماً من طليطلة والبلاد المجاورة ثلاثة أشهر في السنة أي في شهر تشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني يعقدون اجتماعاتهم في ردهة فرشت أحسن فرش فيبدأون عملهم بتلاوة آيات من الكتاب العزيز ثم يتذاكرون في تفسير ماقرأوا ويأخذ بهم الاستطراد إلى البحث في فنون شتى من العلم والحكمة .

* * *

وكان أمير المسلمين علي بن تاشفين لايقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء [1] فكان إذا ولى أحداً من قضاته كان فيما يعهد إليه أن لا يقطع أمراً ولايبت

(١) كان للقضاة في الاندلس مشاورون حتى لايصدروا الا عن آراء ناضجة واليك مثالاً من تقليدهم: « هذا كتاب تنويه وترفيع ، وانهاض إلى مرقى رفيع ، أمر بكتبه الامير الناصر للدين أبو جعفر بن أبي جعفر ادام الله تأييده ونصره ، للوزير الفقيه الاجل المشاور الحسيب الاكمل أبي بكر بن أبي جمرة ادام الله عزه ، انهضه به إلى الشورى ليكون عند ما يقطع بامر ، أو يحكم في نازلة ، يجري الحكم بها على مايصدر عن مشورته ومذهبه ، لما علمه من فضله وذكائه وجده في اكتساب العلم واقتنائه ، ولكون هذه المرتبة ليست طريفة له بل تليدة ، متوارثة عن اسلافه الكريمة وآبائه ، فليتحملها =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حكومة في صغير من الامور ولا كبير الا بمحضر أربعة من الفقهاء فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغاً عظيماً لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الاندلس . وأمير المسلمين هذا هو الذي اجتمع له ولابيه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار فانقطع اليهما من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرتهما حضرة بني العباس في صدر دولتهم . وكانت أيام بني المظفر بمغرب الاندلس أعياداً ومواسم وكانوا ملجأ لاهل الآداب خلدت فيهم ولهم قصائد اشادت مآثرهم وابقت على غابر الدهر حميد ذكرهم .

كان أهل دانية اقرأ أهل الاندلس لان مجاهداً العامري كان يستجلب القراء ويفضل عليهم وينفق الاموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده فكثروا في بلاده . قلنا وإذا كان عرض للاندلس في بعض ادوارها مافرق جامعتها السياسية فاستفاد من ذلك اعداؤها فقد كان لتفريقهم إلى ممالك صغرى داعياً إلى التنافس احياناً حتى صار لكل أقليم مزية ليست لغيره واختص كل ملك بشيء فاتخذ أسباب النجاح فيه واستدعى أهل الاخصاء من رجاله .

ومن لطيف تدبيرهم في الانفاق على الجند دون تحميل الامة أعباءه وهو تحت السلاح ماعمله ابن جهور رئيس قرطبة من جعل أهل الاسواق جنداً وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بايديهم محصاة عليهم يأخذون ربحها فقط ورؤوس الاموال باقية محفوظة يؤخذون بها ويراعون في الوقت بعد الوقت كيف حفظهم لها وفرق السلاح عليهم وامرهم بتفريقه في الدكاكين وفي البيوت حتى إذا دهم أمر في ليل أو نهار كان سلاح كل واحد معه .

ومن أجل اعمالهم في إقامة قسطاس العدل أن هشام بن عبد الرحمن الداخل كان يبعث إلى الكور قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير العمال ثم ينصرفون إليه بما عندهم. واعترض له يوماً متظلم من أحد عماله فبدر إلى الشاكي وقال له : احلف على كل

= تحمل المستقل باعبائها ، اللحن بانبائها ، العالم بمقاصدها المتوخاة المعتمدة وانحائها ، والله يزيده تنويهاً وترفيعاً ، ويبوئه من حظوته وتمجيده مكاناً رفيعاً ، وكتب في التاسع لذي حجة ٥٣٩ الثقة بالله عز وجل اه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ماظلمك فيه فان كان ضربك فاضربه أو هتك لك ستراً فاهتك ستره أو أخذ لك مالاً فخذمن ماله مثله إلا أن يكون اصاب منك حداً من حدود الله فجعل الرجل لايحلف على شيء الا أقيد منه .

ولقد بنى الخليفة عبد الله بن محمد الساباط بين القصر والجامع بمدينة قرطبة وكان يقف فيه قبل صلاة الجمعة وبعدها فيرى الناس ويشرف على اجتهادهم وحركاتهم ويسير بجماعاتهم ويسمع قول المتظلم ولا يخفى عليه شيء من أمور الناس . وكان يقعد أيضاً على الابواب في أيام معلومة فترفع إليه فيه الظلامات وتصل إليه الكتب على باب حديد قد صنع مشرحباً مستطيلاً لذلك فلا يتعذر على ضعيف إيصال بطاقته بيده ولاانهاء مظلمة على لسانه وفتح باباً في قصره سماه باب العدل وكان يقعد فيه للناس يوماً معلوماً في الجمعة ليباشر أحوال الناس بنفسه ولايجعل بينه وبين المظلوم ستراً . فكانت سيرة عمالهم مع الرعايا أن يتحفظوا من كل أمر يوجب الشكوى منهم وينقبضون عن التحامل على من دونهم .

وهكذا فانه لايكاد يخطر ببالك شيء من أدوات الحضارة ومقومات العمران وأساليب العلم والمعرفة الا قام به أو ببعضه ملوك الاندلس وأهلها حتى التماثيل فانها كانت تجعل في قصور العظماء والصور تزين بها غرفهم وردهاتهم لذلك أبقوا على أكثر ما كان في البلاد قبل الفتح من التماثيل للاعتبار بها خصوصاً بعد أن انغمسوا في الحضارة قال أبو عامر البرياني في الصنم الذي بشاطبة :

بقية من بقايا الروم معجبة ... أبدى البناة بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم ... تتابعت بعد سموه لنا صنما
كالمبرد الفرد ما أخطا مشبهه ... حقاً لقد برد الايام والأمما
كأنه وأعظ طال الوقوف به ... مما يحدث عن عاد وعن إرما
فانظر إلى حجر صلد يكلمنا ... أشجى وأوعظ من قس لمن فهما

وقد أقاموا حدائق للحيوانات والنباتات وعنوا حتى بصراع الثيران فصارعوا الاسبانيين وربما فاقوهم وأولعوا بالرقص ولهم منه أنواع وكذلك آلات الطرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كالخيال[١] والكرج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والقيثار والزلامى والشفرة والنورة والبوق وكان في مدينة آبدّة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة ما تظنهن فيه أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدكر واخراج القزي والمربط والفتوخة .

أما الموسيقى فقد كان زرياب أدخلها الاندلس فكان يجري عندهم مجرى الموصلي في الغناءِ وله طريق أخذت عنه وأصوات استفيدت منه وعلا عند الملوك وأحسنوا إليه حتى كادوا يفرطون وشهر شهرة ضرب بها المثل . ولا عجب إذا قلنا إن تفرق الاندلس أصقاعاً وممالك كان أشبه بتفرق ألمانيا وايطاليا قبل وحدتها إلى امارات صغيرة تتنافس في مضمار العلم والصنائع والعمران . « للبحث تال » محمد كرد علي

«١» الخيال هو الذي يسمى خيال الظل أو الخيال الراقص أوخيال جعفر الراقص وجعفر اسم مخترعه يسميه العامة كركوز « قره كوز » بالفرنسية Marionnette, polichinelle والكرج تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف أقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاءَ الخيول فيكررن ويفررن ويثاقفن وهي من آلات الرقص وتسمى بالفرنسية Carrousel, chevaux de bois والروطة ضرب من الرباب معربة عن الاندلسية Rotta أو Rota, بالافرنسية rotte أو Rote, والمؤنس قربة يركب فيها مزمار ولعلها من أصل اسباني يقابلها بالفرنسية Musette أو Cornemuse والكثيرة ضرب من السنطور تنقر أوتارها بالأصابع Cithare والقثار Guitare آلة ذات ستة أوتار ولها يد مقسومة إلى أنصاف ألحان يركب عليها دساتين والزلامي نوع من المزمار هو تصحيف الزنامي نسبة إلى زنام مستنبط الناي وكان زنام زماراً مشهوراً عند هرون الرشيد يضرب به المثل في حسن صناعته . والشقرة والنورة مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والعود معروف وبالفرنسية Luth و لرباب معروف وبالفرنسية Rebec والقانون مشهور وبالفرنسية Harpe والبوق معروف . والدكر نوع من الرقص او اللعب يعرفه الزنج والحبش وبالفرنسية Kalenda والقزي نوع من لعب المشعوذين والفتوخة جمع فتخة وهي خاتم كبير وهي لعبة الخاتم « من مقالة للعلامة انستاس ماري الكرملي : المقتبس م ١ ص ٤٣٥ »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net